

عنوان الأحد الأحد الرابع عشر من زمن العنصرة

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.٠)

(سفر تثنية الاشتراع: ٦ / ٤ - ٩)

٤ اِسْمَعْ يا إِسْرَائِيل: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا هُوَ رَبٌّ وَاحِدٌ.

٥ فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ قُوَّتِكَ.

٦ وَلِتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أَمْرُكَ بِهَا الْيَوْمَ فِي قَلْبِكَ.

٧ وَرَدِّدْهَا عَلَى بَنِيكَ وَكُلِّمَهُمْ بِهَا. إِذَا جَلَسْتَ فِي بَيْتِكَ وَإِذَا مَشَيْتَ فِي الطَّرِيقِ وَإِذَا نِمْتَ وَقُمْتَ.

٨ وَأَعْقِدْهَا عَلامَةً عَلَى يَدِكَ. وَلِتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ.

٩ وَاكْتُبْهَا عَلَى دَعَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ.

مقدمة

في هذا الأحد، تُوجَّهُ كَنِيسَتُنَا المارونيَّةُ قُلُوبَنَا وَأَفْكَارَنَا إِلَى "المَطْلُوبِ الْوَاحِدِ"، الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ كَيَانُنَا الْبَشَرِيُّ، وَأَحْيَانًا كَثِيرًا نَتَجَاهَلُهُ: "الإِصْغَاءُ إِلَى كَلِمَةِ الرَّبِّ" أَيْ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ مَعْرِفَتِهِ. إِنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هِيَ كَلِمَةُ حَيَّةٌ، لِأَنَّهَا مِنْ عَمَلِ رُوحِ الرَّبِّ وَعِلْمِهِ، كَمَا يُعْلَنُ بُولُسُ الرَّسُولُ: "وَأَنَّهَا لَفَاعِلَةٌ فِيكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ" (١ تس ٢ / ١٣). وَيُحَذِّرُنَا الرَّبُّ يَسُوعُ مِنْ خُطُورَةِ الْإِبْتِعَادِ عَنْ كَلِمَتِهِ، "مَرَّتَا، مَرَّتَا، إِنَّكَ تَهْتَمِّينَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَتَضْطَرِّبِينَ!" (لو ١٠ / ٤١)، إِذْ يَحِلُّ الاضْطْرَابُ وَالضِّيَاعُ، فِي أُمُورٍ لَا تُسَاعِدُنَا أَبَدًا فِي مَسِيرَتِنَا نَحْوَ مَطْلُوبِنَا الْوَاحِدِ وَنَصِينَا الْأَفْضَلَ. لِذَا، نَقْتَرِحُ لِيَتَوَرَّجَتُنَا لِهَذَا الْأَحَدِ، قِرَاءَةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، مِنْ سِفْرِ تَثْنِيَةِ الْإِسْتِرَاعِ، لِتُعْطِيَنَا أَمْثَلَةً لِكَيْفِيَّةِ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ كَلِمَةِ الرَّبِّ وَمَعْرِفَتِهِ، هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ.

فَلْنَحْذَرَنَّ إِذَا، مِنَ التَّلَهِّيِّ بِأُمُورٍ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا، وَلْنَفْتَحِ آذَانَنَا الْخَارِجِيَّةَ وَالْدَّاخِلِيَّةَ، لِنَسْمَعَ كَلِمَةَ الرَّبِّ.

تفسير الآيات

٤ اِسْمَعْ يا إِسْرَائِيل: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا هُوَ رَبٌّ وَاحِدٌ.

هَذِهِ الْآيَةُ تُسَمَّى، فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، "شَمْعٌ" أَيْ "اِسْمَعْ"، وَلَيْسَتْ الْمَرَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يُنَادِي بِهَا مُوسَى الشَّعْبَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ (راجع تث ٥ / ١ : ٩ / ١ : ٣ / ٢٠). إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَخْتَلِفُ

عَنْ غَيْرِهَا، لِأَنَّ كَلِمَاتَهَا تُؤَلَّفُ الْمَرْجَعُ الْأَسَاسِيَّ وَنُقْطَةُ التَّلَاقِي لِكُلِّ عَمَلٍ وَفِكْرٍ وَكَلِمَةٍ، يَصْدُرُوا مِنْ شَعْبِ اللَّهِ. إِنَّ دِرَاسَةَ هَذِهِ الْآيَةِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، تُظْهِرُ أَنَّهَا جُمْلَةٌ إِشْكَالِيَّةٌ، لِأَنَّ تَرْدَادَ اسْمِ الرَّبِّ "يهوه" يُسَبِّبُ التَّبَاسًا فِي حَدِيدِ أَقْسَامِهَا، إِلَّا أَنَّ الْهَدَفَ الْمَنْشُودَ مِنْهَا وَاضِحٌ وَلَا التَّبَاسَ فِيهِ وَهوَ: وَحْدَانِيَّةُ الرَّبِّ. وَهَذِهِ الْوَحْدَانِيَّةُ لِلرَّبِّ، عَرَفَهَا شَعْبُ اللَّهِ وَاخْتَبَرَهَا عَلَى مَرَاكِحِلَ: وَعَدُ الرَّبِّ لِإِبْرَاهِيمَ، الْخُرُوجَ مِنْ مِصْرَ، إِعْطَاءُ الشَّرِيعَةِ، ... فَصَارَ الْاعْتِرَافُ بِاللَّهِ وَاحِدٍ سَبَبَ خِلَافٍ مَعَ الشُّعُوبِ الْكَنْعَانِيَّةِ الْوَثْنِيَّةِ.

وَلِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ الرِّكِيزَةُ لِإِيمَانِ الشَّعْبِ بِالرَّبِّ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَهْمِهَا. فَفِعْلُ الْأَمْرِ "إِسْمَعُ" يَتَوَجَّهُ إِلَى كَيَانِ الْإِنْسَانِ، أَيْ كُلِّ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأُذُنَانِ تَدْخُلُ الْأَصْوَاتُ إِلَى الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ، فَيَعْبُرُ الْإِنْسَانُ، بِأَعْمَالٍ وَكَلِمَاتٍ، انْطِلَاقًا مِمَّا دَخَلَ فِي أُذُنَاهُ. بَعْدَ دَعْوَةِ الْإِصْغَاءِ وَالْانْتِبَاهِ، يَأْتِي التَّعْلِيمُ "إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ": صَحِيحٌ أَنَّ فِكْرَةَ وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ لَمْ تَبْدَأْ مَعَ سِفْرِ تَثْنِيَةِ الْإِسْتِرَاعِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ حَضَرَ لَهَا، مِنْ خِلَالِ إِحْيَاءِ مَرَاكِحِلَ مَسِيرَةِ الرَّبِّ مَعَ شَعْبِهِ، مِنْذُ الْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ حَتَّى هَذَا "الْيَوْمِ" أَيْ يَوْمَ الْوُصُولِ إِلَى حُدُودِ أَرْضِ الْمِيعَادِ. وَتُخَصَّصُ هَذِهِ الْآيَةُ الرَّبِّ بِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ، إِذْ هُوَ رَبُّ وَاحِدٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ هُوَ وَحْدَهُ.

٥ فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ قُوَّتِكَ.

هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى وَمَعَهَا الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تُعَادِلُهَا، مُحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ (رَاجِعْ مَتَى ٢٢ / ٣٨). هَاتَانِ الْوَصِيَّتَانِ تَخْتَصِرَانِ تَعْلِيمَ الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ. هَذِهِ الْآيَةُ تَطْلُبُ مِنَ الشَّعْبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ عِبَادَةَ جَذْرِيَّةَ لِلرَّبِّ إِلَهِهِ: "مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ" أَيْ مِنْ كُلِّ مَا فِي أَعْمَاقِ الْإِنْسَانِ، مِنْ مَشَاعِرَ وَإِرَادَةٍ، مُيُولٍ وَأَفْكَارَ بَاطِنِيَّةٍ؛ "مِنْ كُلِّ النَّفْسِ" أَيْ مِنْ كُلِّ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، رُوحِهِ وَشَخْصِهِ وَرَغْبَاتِهِ؛ وَ"مِنْ كُلِّ الْقُوَّةِ" وَتَعْنِي مِنْ كُلِّ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحُبِّ، بِوَفَرَةٍ وَشَجَاعَةٍ. بِاخْتِصَارٍ، إِنَّ الرَّبَّ يَطْلُبُ مُحَبَّةً صَادِقَةً، صَافِيَةً تَنْبَعُ مِنْ كُلِّ كَيَانِ الْإِنْسَانِ الْيَهُودِيِّ، مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ وَفِكْرٍ وَعَمَلٍ، لِأَنَّهُ الشَّعْبُ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ وَأَحَبَّهُ بِصَدَقٍ وَوَفَاءٍ.

٦ وَلِتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا آمُرُكَ بِهَا الْيَوْمَ فِي قَلْبِكَ.

إِنَّ مُوسَى يُوجِّهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتَ بِلُغَةِ الْأَمْرِ الْقَاطِعِ، فَلَا مَجَالَ لِعِبَادَةِ آلِهَةٍ غَيْرِ إِلَهِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ، أَوْ لِحُبَّةِ الرَّبِّ مُحَبَّةً سَطَحِيَّةً. فَالنَّبِيُّ مُوسَى يُرَدِّدُ عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ كَلِمَاتَ هَذَا السَّفَرِ قُبِيلَ مَوْتِهِ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الشَّعْبَ سَيُعَاوِدُ الْخِيَانَةَ لِلرَّبِّ، لِهَذَا يُشَدِّدُ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي الْقَلْبِ، مَصْدَرِ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ وَهُوَ أَعَمَقُ وَأَصْدَقُ مَكَانٍ فِي الْإِنْسَانِ. بِهَذَا الطَّلَبِ، يَسْتَبِقُ مُوسَى الْوَصِيَّةَ الْجَدِيدَةَ "خِتَانُ الْقَلْبِ" أَيْ قَلْبُ الشَّعْبِ يَكُونُ مُلَكًا لِلرَّبِّ وَخَاصَّتَهُ (رَاجِعْ تَت ٣٠ / ٦؛ إِر ٣١ / ٣١ - ٣٤).

٧ وَرَدَّهَا عَلَى بَنِيكَ وَكَلَّمَهُمْ بِهَا، إِذَا جَلَسْتَ فِي بَيْتِكَ وَإِذَا مَشَيْتَ فِي الطَّرِيقِ وَإِذَا نِمْتَ وَقُمْتَ.

إِنَّ مُوسَى يَطْلُبُ مِنَ الشَّعْبِ أَنْ يَكُونَ مَضْمُونِ أَحَادِيثِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأَنْ يَحْفَظَهَا كَوَدِيعَةٍ وَيَنْقُلَهَا لِلْأَجْيَالِ الْآتِيَةِ، مُرَدِّدًا إِيَّاهَا بِلا مَلَلٍ، فِي كُلِّ حَالٍ "جُلُوسٍ وَمَشْيٍ" وَفِي كُلِّ وَقْتٍ "الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ".

٨ وَأَعْقَدُهَا عَلامَةً عَلَى يَدِكَ، وَلِتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ.

٩ وَأَكْتُبْهَا عَلَى دَعَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ.

كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ طَبَّقُوا هَاتَانِ الْآيَتَانِ حَرْفِيًّا، بِوَضْعِ كَلِمَاتِ التَّوْرَةِ أَوْ الْوَصَايَا عَلَى أَيْدِيهِمْ بِلَفَائِفٍ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صُنْدُوقٍ صَغِيرٍ يَحْتَوِي عَلَى آيَاتٍ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُعَلَّقٍ بِشُرَائِطٍ لِيَتِمَكَّنَ الْيَهُودِيُّ مِنْ لَفِّهِ حَوْلَ يَدِهِ الْيُمْنَى. أَمَّا الْعَصَائِبُ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَتُسَمَّى "طُوطُفُوتٍ" وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صُنْدُوقٍ صَغِيرٍ أَيْضًا، يُلَفُّ حَوْلَ الرَّأْسِ. وَهَذِهِ الطُّرُقُ الْمَادِيَّةُ هِيَ عَلامَةٌ حِسِّيَّةٌ لِلْيَهُودِيِّ لِكَيْ يَتَذَكَّرَ كَلِمَاتِ التَّوْرَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَكَانٍ وَحَالٍ.

كَمَا أَنَّ كَلِمَاتِ التَّوْرَةِ وُضِعَتْ أَيْضًا عَلَى دَعَائِمِ أَبْوَابِ الْبُيُوتِ الْيَهُودِيَّةِ وَتُسَمَّى "مَزُوزُوتٍ" وَتَأْخُذُ أَشْكَالًا عَدِيدَةً، كَالسَّفَرِ الصَّغِيرِ وَغَيْرِهِ. وَضِعَتْ هَذِهِ الْمَزُوزُوتُ لِتَكُونَ بَرَكَةً لِلْبَيْتِ وَلِكُلِّ دَاخِلٍ إِلَيْهِ أَوْ خَارِجٍ مِنْهُ، بِالإِضَافَةِ إِلَى عَلامَةٍ تُذَكِّرُ الْيَهُودِيَّ بِالشَّرِيعَةِ وَبِانْتِمَائِهِ لِلرَّبِّ إِلَهِ الْوَاحِدِ.

أَمَّا الْقَصْدُ الْكِتَابِيُّ لِهَاتَانِ الْآيَتَانِ، هُوَ أَنْ يَقُومَ الْيَهُودِيُّ بِأَعْمَالِهِ إِنْطِلَاقًا مِنْ كَلِمَاتِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنْ يَنْظُرَ بِصَفَاءٍ وَنَقَاءٍ وَمَحَبَّةٍ لِلْخَلِيقَةِ عَلَى مِثَالِ نَظَرَةِ الرَّبِّ لِخَلِيقَتِهِ. أَمَّا "مَزُوزُوتٍ" فَهِيَ لِبَرَكَةِ الْبَيْتِ وَلِلتَّذَكُّرِ بِأَنَّ مَهْمَةَ رَبِّ الْبَيْتِ هِيَ تَعْلِيمُ التَّوْرَةِ لِبَنِيهِ وَلِأَفْرَادِ عَائِلَتِهِ.

خلاصة روحية

هَذِهِ الْقِرَاءَةُ تُظْهِرُ بوضوح قِصْدَ الرَّبِّ يَسُوعَ بِقَوْلِهِ لِمَرْتَا: "الْمَطْلُوبُ الْوَاحِدُ". فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ مَحَوْرَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَاهْتِمَامِهِ. فَحُضُورُهُ يَجْذِبُ الْإِنْسَانَ، كَمَا جَذَبَ مَرْيَمَ، فَجَلَسَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ تُصْغِي.

تُرَكِّزُ بَدَايَةَ الْقِرَاءَةِ عَلَى "السَّمَاعِ" أَوْ الْإِصْغَاءِ وَهُوَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَقْدِرُ أَنْ تُوصِلَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ إِلَى الْقَلْبِ. وَالْإِصْغَاءُ يَتَطَلَّبُ الصَّمْتَ وَالسَّلَامَ وَهَذَا حَدٌّ كَبِيرٌ يُوَاجِهُنَا فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ الصَّعْبَةِ، فِيهَا يَبْحَثُ النَّاسُ عَنِ الْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ لِلْعِيشِ، بِسَبَبِ الْجُوعِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ.

وَتُشَدَّدُ عَلَى تَكَرُّارِ كَلِمَاتِ الشَّرِيعَةِ، وَهَذَا مَا يُمَارِسُهُ الْمَكْرَسُونَ فِي حَيَاتِهِمْ دَاخِلَ جُدرانِ

الأديارِ، أو بين الناس وهو ما نُسَمِّيهِ "صلاة القلب"، وهي ترددٌ عميقٌ وصامتٌ ومُثابِرٌ لآياتِ
كِتابِيَّةٍ، تُسَاعِدُ الإنسانَ على تَنْقِيَةِ القلبِ والنَّظَرِ والحواسِ، وعلى التَّأَمُّلِ المُسْتَمِرِّ في الرَّبِّ
واختِبارِ سرِّ مَعْرِفَتِهِ. فَلْنُحِبِّ الرَّبَّ هكْذا، من كُلِّ قلبنا ونَفْسِنا وقوَّتِنا.

